﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤﴾ [الإسراء: 4]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الانتقال مِنَ الإخبار عنِ الكتاب إلى ما جاء في الكتاب

لمّا تحدّثتِ الآياتُ السّابقة عن مِنَّة رحلة الإسراء إلى المسجد الأقصى، وإيتاءِ موسى ﷺ الكتابَ، وحَمْلِ بني إسرائيلَ في سفينة النّجاة، ناسبَ أن يذكرَ ما يَدُلّ على شَرَف كتابِ موسى ﷺ، وصِحّة نسبته إليه تعالى بما يقتضي شمولَ العِلْم وتمام القُدرة، بما كشف عنه الزّمانُ مِن صدق إخباره، وقوّةِ وعيدِه وإنذاره؛ تنبيهًا على أنَّ مَن كَذّب بكتابه أهلكَه كائنًا مَن كان، وإنْ طال إمهالُه، فلا تغترّوا بحِلْمه؛ لأنّ الملوكَ لا تُقِرّ على أمرٍ يَقْدحُ في مُلْكِها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾: القافُ والضّادُ والحرفُ المُعتلُّ أصلٌ صحيح يدُلُّ على إحكامِ أمرٍ وإتقانِه وإنفاذِه لِجهتِه، قال اللّهُ تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: 12]، أي: أحكم خَلْقَهُنّ، والقضاءُ: الحُكمُ[2]، وفصلُ الأمرِ قولًا كان ذلك أو فعلًا، قال تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]، أي: أمر بذلك، فهذا قضاءٌ بالإعلام والفصل في الحُكم، أي: أعلمناهم وأوحينا إليهم وحيًا جزمًا[3]، فالمراد بالقضاء في الآية الإعلامُ مِنَ اللّه بما سيفعله بنو إسرائيل، فجعله اللّهُ تعالى وحيًا مقطوعًا به؛ لكونه سبحانه أعلمُ بخَلْقه ومآلاتهم.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 297.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قضى).
(3) الرّاغب، المفردات: (قضى).

2) ﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾: "الفساد هو التّغييرُ عن المِقدار الذي تدعو إليه الحِكمة، والشّاهد أنّه نقيض الصّلاح، وهو الاستقامة على ما تدعو إليه الحِكمة"[1]، وهو "خروج الشّيء عنِ الاعتدال، قليلًا كان الخروجُ عنه أو كثيرًا، ويُضادُّه الصّلاحُ، ويُستَعمل ذلك: في النّفس، والبَدن، والأشياء الخارجة عنِ الاستقامة"[2]، والمراد بإفسادهم في الأرض: تخريبُها وإهلاكُ ما فيها، وإخراجُها عن دائرة الصّلاح والنّفع، وهذا هو دَأْبُهم مِن أوّل الزّمان إلى آخره، وراثةَ كابرٍ عن كابر.

3) ﴿مَرَّتَيۡنِ﴾: (مرّ) الميمُ والرّاءُ أصلانِ صحيحانِ؛ يدُلُّ أحدُهُما على مُضيِّ شيء، والآخرُ على خِلافِ الحلاوةِ والطّيب، فالأوّلُ: مرّ الشّيءُ يمُرُّ، إذا مضى، ومَرُّ السّحابِ: انسِحابُهُ ومُضيُّهُ، ولقيتُهُ مَرّةً ومَرّتينِ إنّما هو عِبارة عن زمان قد مرّ، ويقولون: لقيتُهُ مَرّةً مِنَ المَرِّ، يجمعون المَرّة على المرِّ[3]، وقد استعمل القرآنُ ما كان لجزءٍ يسير مِنَ الزّمان مَرَّةً، ومَرّتين، قال تعالى: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾، استبشارًا بسُرعة الزّوال.

4) ﴿وَلَتَعۡلُنَّ﴾: العينُ واللّامُ والحرفُ المُعتلُّ أصلٌ واحِدٌ يدُلُّ على السُّموِّ والارتِفاعِ، لا يشِذُّ عنهُ شيءٌ[4]، فالمعنى المحوري للمادّة: "ارتفاع الشّيء فوقَ شيءٍ تحتَه أو أدناه"[5]، والمرادُ بالعُلو بالعُلوِّ في الآية هنا العُلوُّ المَذْموم الّذي يُراد به التّجبُّرُ والتّكبُّرُ الّذي يَخْرج عن حَدِّ الاستقامة والشّرف، بدليل المعطوف عليه، وهو الفساد.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لمّا ذكر اللّهُ تعالى إنعامَه على بني إسرائيل بإنزال التّوراة وجَعْلِها

أرشد الله تعالى بني إسرائيلَ إلى الهداية، لكنّهم آثَـــروا طـريـقَ الغِواية

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 226.
(2) الرّاغب، المفردات: (فسد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مرّ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علو).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (علو).

هدًى لهم، بيّن سبحانَه أنّهم ما اهتَدَوا بهُداه، بل وقعوا في الفساد والإفساد، فقال: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾، أي: أوحينا إليهم وأعلمناهم بأنّهم سيفسدون في الأرض مَرّتين قتلًا وتَجَبُّرًا، وإخراجَ هذه الأرض مِن دائرة الصّلاح الّتي خلقها اللّهُ عليها، مع عدم التفاتهم إلى ما جاء في تعاليم التّوراة مِنَ الإيمان والاهتداء، فامْتَطَوا مَطيّة الإفسادِ والدّمار، مع عدم مراعاة آدابِ هذا الكتاب.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة واو عطف ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ للمعطوف عليه:

إقامةُ الحُجّة ببيانِ عاقبة مُخالفةِ هدي التّوراةِ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ عاطفةٌ على قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾، والمناسبةُ بين المعطوف والمعطوف عليه: أنّه لمّا أخبر عن إيتاءِ موسى الكِتابَ هُدًى، وذكر أنّه بيَّن لِبني إسرائيلَ في الكِتابِ ما يَحِلُّ بهم من جَرّاءِ مُخالفةِ هدي التّوراة، إعلامًا لهذهِ الأُمّةِ بأنّ الله لم يَدّخِر أولئك إرشادًا ونُصحًا، فالمُناسبةُ ظاهرة[1].

نُكْتَةُ التّعبيرِ بلفظ القضاء:

قطعُ العُذرِ بالأمرِ الفَصْلِ المُبَيَّنِ في التّوراة

يتضمّنُ لفظُ القضاءِ معنى الإحكام والإتقان والفَصْل، والمُرادُ به في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾: التّقديرُ والإعلام والوَحْيُ، فهو معنًى شامِلٌ جامع، ولمّا كان المرادُ بالقضاء هنا الوحيَ والإعلامَ، أي: كونَه وحيًا جازمًا، وقضاءً مبرمًا، فلمّا كان ذلك كذلك استَحقّ أن يكون مكتوبًا في الكتاب الّذي أُنزل إليهم، وهو التّوراة، فهو ليس مُجَرَّدَ إخبارٍ، بل إخبارٌ مُتْقَنٌ، وفيه الفصلُ في الأمور.

دلالةُ إسناد الفعل (قضى) إلى نُون العَظَمة:

قضاء الله تعالى نافذ، مقطوع بوقوعه

دَلَّ التّعبيرُ بالفعل الماضي ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ على تَحَقُّق هذا القضاء وحصولِه، وكونِه وحيًا مقطوعًا به، فإسناد الفعل (قضى) إلى نون

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 28.

العَظَمة، تشريفٌ وتعظيمٌ لهذا الوَحي المَقضيِّ به؛ لكونه سبحانه ممّن يملك القضاءَ والإيحاء، ولكون هذا القضاءِ مدوّنًا في كتاب يَتلقّون تعاليمَه، ويتابعون منهجَه، وهو أخصر وأوجزُ مِن أن يُقال: قضى اللّهُ في الكتاب؛ لإبلاغ الحُكم مِن أيسر طريق.

دلالةُ تعديَة (قضى) بـ ﴿إِلَىٰ﴾:

تضمين الفعلِ (قضينا) معنى الإيحاءِ والقضاء المحتوم

الفعل (قضى) يتعدّى بنفسه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب: 37] ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [القصص: 29]، وإنّما تعدّى في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بحرف ﴿إِلَىٰ﴾؛ لتضمُّنه معنى: أنفذنا وأوحينا، أي: وأنفذنا إليهم بالقضاءِ المحتوم[1]، "ولو كان بمعنى الإعلام والإخبار لقال: (قضينا بني إسرائيل)، ولو كان بمعنى حكمنا لقال: (على بني إسرائيل)، ولو كان بمعنى أتممنا لقال: (لبني إسرائيل)"[2]، وفائدة التّضمين هاهنا الجمعُ بين معنيين؛ فاستعمال الفعل ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ في هذا الموضع فيه قَصْدٌ إلى معنىً معيّن، لا يتأتّى من دون ذِكْره، إلّا أنّ تعديتَهُ بغير الحرف المستعمل معه عادةً فيه ضَرْبٌ مِنَ التّوسع في المعنى مع غاية الإيجاز، ومُؤدّاهُ أنّ للفعل دلالةَ أصلِ معناه، وباستعمال حرف الجَرّ الذي يتطلّب فعلين آخرين هما: أنفذنا، وأوحينا؛ يصبح للمعادَلة وجهان متكاملان؛ إذ يُؤدّي الفعلُ أصلَ معناه بالتّصريح به، ويقتضي حرفُ الجَرّ معنى الفعل الذي يطلبه بالتّضمين.

دلالة استعمالِ ﴿فِى﴾:

ثبوتُ القضاء المذكور في الكتاب

التّعبيرُ بحرف الظّرفيّة ﴿فِى﴾ في قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ للدّلالة على تمكُّن الظّرف مِنَ المَظروف؛ ليكون حجّةً وبرهانًا عليهم، لا تبديلًا ولا تحويلًا، فالقضاءُ المُخْبَر به مقطوعٌ به، ثابتٌ في التّوراة، فمَن أراده فلْيَطْلُبْه ثَمَّ.

(1) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 7/ 310.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 390.

معنى التّعريف في ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

ذِكرُ كلِّ أمَّةٍ في كتابِها لمَن أبصر واعتبر

(أل) في ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ تعريفيّة، إمّا للعهد وإمّا للجنس، والأكثريّة مِنَ المفسّرين على إفراد الكتاب، والمراد به التّوراة، فيجوزُ أن يكون المُرادُ بِـ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ كِتابَ التّوراةِ، والتّعريفُ لِلعهدِ؛ لِأنّهُ ذُكِر الكِتابُ آنِفًا، ويجوزُ أن يكون ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بعضَ كُتُبِهِمُ الدّينيّةِ، فتعريفُ الكِتابِ تعريفُ الجِنسِ، وليس تعريفَ العهدِ الذِّكْريِّ، إذ ليس هو الكِتابَ المذكورَ آنِفًا في قولِهِ: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ لِأنّهُ لمّا أظهر اسمَ الكِتابِ، أشعر بِأنّهُ كِتابٌ آخرُ مِن كُتُبِهِم، وَيَجوزُ أَنْ يُرادَ بِـ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ التَّوْراةُ وَكُتُبُ الأَنْبياءِ، وَلِذَلِكَ أَيْضًا وَقَعَ بِالإِظْهارِ دونَ الإِضْمارِ[1].

نُكْتَةُ إظهارِ ما حَقُّه الإضمارُ:

شـرفُ أهـلِ الكـتـابِ بشرف الالـتـزامِ به والعملِ بأمره

قد يُتَجَوّز بحَذْف الضّمير للعِلْم به، والمُضْمَر لا يكون إلّا بعدَ الظّاهر لفظًا أو مرتبةً، أو لفظًا ومرتبةً، ولا يكون قبلَ الظّاهر لفظًا ومرتبةً إلّا في أبواب ضمير الشّأنِ والقِصّة، والضّميرُ لا يعود إلّا على مشاهَدٍ محسوس، ولمّا كان الأمرُ قضاءً وتقديرًا وحُكمًا، جاء التّعبيرُ بالاسم الظّاهر؛ لمزيد الاهتمام بالمَقضيِّ به وما ورد فيه مِنَ القضاء، ومِن هنا جاء التّعبيرُ باللّفظ الظّاهر ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ لغرض التّشريف والتّعظيم والاهتمام بأمر هذا الكتاب وما جاء فيه، ولتقويَة أنَّ المُراد به التَّوراةُ، لا غيرُه مِنَ الكتب.

عِلَّةُ الفصلِ في: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

الإخبـارُ عن الإفساد يقتضي الحَـذَرَ مِـنَ العواقب

قوله تعالى: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إمّا أن يكون عطفَ بيانٍ وتفسيرًا لقوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، ففصلت عنها لكمال الاتِّصال، أو مستأنفةً استئنافًا بيانيًّا، على أنّ قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ مثيرٌ لسؤال: ما هذا القضاء الّذي قضاه الله تعالى؟

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 29، 28.

فجاء الجوابُ بقوله: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾، ففصلت لشبه كمال الاتِّصال.

نوعُ اللّام في: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾:

إفسادُ بني إسرائيل ثابتٌ مُؤكّدٌ بالقسم

اللّام في قوله: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾ جوابُ قسم محذوف، تقديره: واللهِ لَتُفسدن، ويجوز أن تكون جوابًا لقوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾؛ لأنّه مضمَّنٌ معنى القَسَم، كما يقول القائل: قضى اللّهُ لأفعلنَّ كذا، فيَجْري القضاءُ والقَدَرُ مَجْرى القَسَم[1].

سِرُّ اختيارِ لفظِ الإفساد:

الإفسادُ يكون بعد الإصلاح، وهو وصفٌ متأصّلٌ في الهالكين

آثَر النَّظمُ اختيارَ لفظِ الإفساد في قوله تعالى: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾، وهو التّغيير عن المِقدار الذي تدعو إليه الحِكمة، والشّاهد: أنّه نقيض الصّلاح، وهو الاستقامة على ما تدعو إليه الحِكمة[2]؛ لأنَّ إفساد بني إسرائيل إنَّما يكون بعد إصلاح الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 56]، وإفسادُهم في الأرض خروجُهم عن حَدِّ الاعتدال بتخريب الأرض وقتلِ الأنبياء والدُّعاة، واستباحةِ الدِّماءِ والأعراض؛ فإذا نزلوا أرضًا أفسدوها وهتكوا حرماتِها، وغيّروا معالِمَها، وحوَّلَت مِن دائرة الصّلاح إلى بوارٍ ودَمار، وهذا شأنهم في تَكبُّر وجَبَروت.

دلالة التّأكيد في: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾ مع صيغة المضارع:

تأكيد خبر الإفساد دليلُ إصرارِ المُفسِد

الفعل المضارعُ يُفيد التّجدُّدَ والاستمرارَ مع استحضار الصّورةِ الماضية، ليَنْظُرَ السّامِعُ ويستحْضِرَ إفسادَهم على مَرِّ العصور، واقترانُ الفعلِ المضارع هنا بلام القَسَم، وهي داخلة على الجملة الفعليّة، وهي إحدى أدوات التّوكيد، ثمّ اقترانه بنون التّوكيد الثّقيلة المُشَدّدة المفتوحة التي تدخل على المضارع وجوبًا أو جوازًا، دلّ على أنّ الإفساد سيقع مِن هؤلاء ويتجدّدُ بلا انقطاع، وأنّ الإفساد طَبْعُهم

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 290.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 226.

الّذي سيلازِمُهم ملازمة أرواحِهم لأجسامهم.

توجيهُ المجاز في لفظ: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

إطلاقُ الأرض المُقَدّسة بالشّام، أو مِن إطلاق الكلِّ وإرادة الجُزء على سبيل المَجاز المُرسل، إذ ليس المراد جميعَ الأرض، وإنّما الأرضُ المَخصوصة بهم وهي الأرض المُقَدّسة، والتّعبير بالمَجاز أعطى لهذه الأرض الشّرف والقُدْسيّة والمكانةَ، وهي الموصوفة سابقًا بقوله تعالى: ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾.

إطلاق العامّ وإرادة الخاصّ لشرف الخاصّ

بلاغة الاستعارةِ التّبعيّة في حرف الظّرفيّة:

استُعمِل حرفُ الظَّرفيّة ﴿فِى﴾ في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للدّلالة على تمكُّن إفسادهم في الأرض بما تحتويه من مبان وزروع وغيرها، فاستُعير حرفُ ﴿فِى﴾ الدّالُّ على الظَّرفيَّة، لحرف الاستعلاء الدّالِّ على العُلوّ استعارةً تبعيّةً في الحرف، مبالغةً في تمكُّن إفسادهم في الأرض، وإذا حملنا دلالة الإفساد إلى باطن الأرض فإنَّ استعمالَ هذا الحرف يكونُ من باب الحقيقة الظَّرفيَّة المكانيَّة، أي: إفسادًا يتغلغل في داخل الأرض؛ لتخريب أقدسِ ما فيها.

أعظم الإفساد ما تغلغل في باطن الأرض

دلالةُ التّعبير بـ: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾:

عبَّر النَّظم القرآنيُّ بـ: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، والمَرّة جُزءٌ مِنَ الزّمن، وذلك للإشعار بانصرامهما وسُرعة انقضائهما، وقد استعمل القرآنُ ما كان لجُزءٍ يسير مِنَ الزّمان مَرَّةً، ومرّتين.

بلاغةُ المجاز المُرسَل في إسناد فعل الإفساد إلى الضّمير:

الإفساد المسند إلى ضمير الخطاب العائد لبني إسرائيلَ في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ لم يصدر عنهم جميعًا، فهذا من قبيل إطلاق الكلِّ وإرادة الجُزء على سبيل المجاز المُرسَل؛ لأنّ الكلّ لمّا رضوا فعلَ

السّكوتُ عن الإفسادِ فسادٌ والرِّضا به إفساد

الجُزء صار أَمْرُ الإفساد يَعُمُّ الجميعَ، كما في قوله تعال: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعراف: 77]، فأفاد هذا الإسنادُ "أنّهُ إفسادٌ مِن جُمهورِهِم، بِحيثُ تُعدُّ الأُمّةُ كُلُّها مُفسِدةً، وإن كانت لا تخلو مِن صالِحين"[1].

معنى الواو، ودلالتها:

الإفساد سببُ العُلُوِّ والطُّغيان

عطفت الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا﴾ على السّابقة ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾؛ لاتفاقهما في الخبريّة لفظًا ومعنى، إلى جانب اتّفاقهما في الغرض العامّ، وهو بيانُ ما سيقع من بني إسرائيل من إفساد وتخريب، يُغلِّفُهما تَجَبُّرٌ وكِبْرٌ يمنعانهم مِنَ الرُّجوع إلى الحَقّ.

بلاغة الاستعارة التّصريحيّة في استعمال لفظ العُلُوّ:

الكِبر أصل كلِّ خراب، والطّغيانُ سِرُّ كلّ دمار

ورد فعلُ العُلوّ في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا﴾ استعارةً تبعيّةً؛ إذ استُعير العُلوّ بمعنى تجاوزِ الحَدّ المعلوم، تكبُّرًا وتَجَبُّرًا لطغيانهم وعصيانهم، فاستُعيرَ اللّفظ الدّالُّ على العُلوّ للطّغيان والعِصيان، واشتُقَّ منه الفعلُ (تَعْلُنَّ) على سبيل الاستعارة التّصريحيّة التّبعيّة، والقرينةُ لفظيّة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 4]، وقولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الدُّخان: 31]، "تشبيهًا لِلتّكبُّرِ والطُّغيانِ بِالعُلوِّ على الشّيءِ؛ لِامتِلاكِهِ تشبيهَ معقولٍ بِمحسوس"[2]، ولمّا كان فرعونُ طاغيًا عاليًا مُسرفًا، وهمُ المُستَضعَفون المَسومونَ سَوءَ العذابِ على يديه، امتثلوا طريقَتَه، وساروا على نهجه، فالأُمّة المغلوبةُ مولَعَةٌ بتقليد الغالبة.

دلالةُ التّعبير بالمَصْدر ﴿عُلُوًّا﴾:

استكبارُ بني إسرائيل تجاوزَ مَداه

المَصدر أصلُ المُشتقّات، وهو مبالغةٌ في العُلوِّ، ولمّا كان طغيانُهم وعصيانُهم قد تجاوز الحَدَّ، واستكبارُهم بلغ مَداه، صار ذِكْرُ مصدرِ هذا العُلوّ أقصى ما يَتَصَوَّرُه العقلُ، وهو هنا مفعولٌ مُطلقٌ، اكتسب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 30.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 30.

التّجدُّد والاستمرار مِن فعله، فصار أكثرَ وَكادَةً؛ مبالغةً في هذا العُلوّ.

سِرُّ وصفِ العُلُوّ بالكبير دونَ العظيم والكثير:

عُـلُـوُّ المُفسدين الـكـبـير شـامـلٌ ومُتعدِّد ومُتَكَثِّر

وُصِفَ العُلوُّ بالكبير دون العظيم في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾؛ لما في الكبير مِنَ الكَثرة والاتّساع، بخلاف العظيم، فهو وَصْفٌ للشّيء الواحد، وجاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: 219] قراءتان: ﴿كَبِيرٌ﴾ و﴿كَثِيرٌ﴾؛ لاشتراكهما في الشّيء الواحد الدّالّ على التّعدّد والاتّساع، وهذا ما دَلّ عليه الوصفُ، فَعُلُوُّهم في الإفساد كثيرٌ وكبيرٌ، ومُتَعَدِّد ومُتّسِعٌ، وهذا متّسِقٌ مع دلالة الظَّرفيّة الدّالّة على الشّمول والتّغَلْغُل في الأرض.

دلالة التّنكير:

عُـلُـوٌّ مِـن نـوع خـاصّ تَـخَـطّى الحدودَ المعلومة

أفاد التّنكير في قوله تعالى: ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ التّعظيمَ والتّكثيرَ لهذا العُلوّ، أمّا التّكثيرُ فَلِكَونِ كميّةِ هذا العُلوّ كثيرةً، وأمّا التّعظيمُ فَلِكَوْنِ الكيفيّةِ الّتي يقع بها العُلوُّ عظيمةً متجاوِزَةً للحَدِّ، ويمكن أن يكون التّنكير للنّوعيّة، فهو عُلوٌّ مِن نَوع خاصّ تخطّى الحدودَ المعلومة، لإخبار القرآنِ عنه فيما أخبرتِ التَّوراةُ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإفساد والعُثُوّ:

الـفـسـاد هـو مخالفة مقتضى الحِكمة لمَا فيه الصَّلاح، والعُثُوّ أشدُّ الفساد

الفرق بينهما: أنَّ الفسادَ هو التّغيير عنِ المقدار الذي تدعو إليه الحِكمة، فهو نقيض الصّلاح الذي هو الاستقامة على ما تدعو إليه الحِكمة، فما قَصُرَ عن المِقدار أو أفرط كان فسادًا، فهو تغييرُ ما من شأنِه أن يكونَ صالحًا، والفسادُ يكون في الأفعال والأقوال، فيَقع على الابتداع وفِعلِ المُنكراتِ وغيرِها.

وأمّا العُثوّ: فهو كَثْرةُ الإفساد وأَشَدُّه، وأصلُه من قولك: ضبعٌ عَثْواء، إذا كَثُر الشَّعرُ على وجهِها، وكذلك إذا كَثُرَ الشّعرُ على وجهِ

الرَّجلِ، وعاثَ يعيثُ لغةٌ، وعَثا يَعْثو أفصحُ اللُّغتين، فالعَيْثُ: الإفسادُ لا الفسادُ، ومنه: عاثَ الذِّئبُ في الغَنم إذا أفسد، ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾ [البقرة: 60]، ولم يأت في القرآن مِنَ التّركيب إلّا هذه العبارةُ خمسَ مَرّات، وهذا يُؤكّد التّلازمَ بينَ العُثوّ والفساد[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 213، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 598، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (عثو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»